عندما نقبل عليه بهوية متميـزة ذات منطلقات وتطلعات انسانية .

واكتشف الفنان العربي اول ما اكتشف ان هناك اربعمائة سنة من الضياع والخنوع عاشها عالمنا العربي في ظل حكم عثماني سلبنا كـل مقوماتنا الحضارية والفنية ، الشيء الذي شكل فجوة كبيرة بين ماض عربي زاهر وتراث فني عظيم وبين محاولة الفنان العربي المعاصر . وبدأت ، على اثر ذلك ، تتشكل القناعة لدى الفنان العربي المعاصر بأن تجربته الفنية العربية يجب ان تنبع وتترعرع في مناخها الطبيعي على ارض الوطن العربي ، ومن خلال وعيه ودراسته للتراث العربي الاسلامـي وخلفياته ، (الفن المصري القديـم ، وفنـون الرافدين ، والفن المسيحي الشرقي) ومعايشته للواقع العربي الحاضر والمساهمة في بناء المستقبل العربي ، وتفتحه علـى جميع التيارات الفنيـة والفكرية الخيرة في العالم . وبدأ يدرك ان اية حركة فنية او فكرية لا تثبت وجودها على المستوى القومي ، لا تستطيع في خضم الصراعات السياسية العالمية — وهي لا شك ذات اثر كبير على الفكر والفن — ان تفرض وجودها عالميا . والعودة الى التراث لا تعني للفنان العربي المعاصر ، ويجب ان لا تعني العودة الى الوراء ونسخ المـاضي والاختفاء وراء جدرانه ، ولكنه — اي التراث — يجب العودة اليه بقدر ما يمكن ان يدفع الحركة الفنية العربية المعاصرة الى الامام . وغني عن القول ، ان التراث العربي وخلفياته تراث عظيم وينبوع لا ينضب اثر ويؤثر في الحركة الفنيـة العالمية ، ومن شأنه ان يحول الى طاقة تفجر في الفنان العربي مواهبه وتمكنه مـن بناء حضارة الانسان العربي المعاصر والمساهمة في بناء الحضارة الانسانية . ومعايشة الفنـان العربي لواقعه العربي وواقع امته وتحديد دوره في معركة المصير العربي لا تعني التقوقـع داخل اطار الطابـع التسجيلي الوثائقي ، وانما المقصود هو احداث التفاعل الحقيقي بين الفنان ومجتمعه ، بآلامـه وآماله ، وعكس ذلك في عمله الفني بأسلوبـه الخاص ومن خلال معاناته الانسانية .

ولا بد لهذه العوامل ، التراث والمؤثرات الناتجة عن المعايشة الحقيقية للواقع ، والمؤثرات الفكرية والفنية الناتجة عن احتكاك الفنان مـع التيارات الفكرية والفنية الانسانية في العالم بالاضافة الى المؤثرات الداخلية النفسية الموروثة والمكتسبة لذات الفنان، لا بد لهذه العوامل من ان تطبع حركة الفن التشكيلي العربي المعاصرة بالشخصية العربية ، بملامحها الانسانية الكاملة المستمدة من منطلقها التاريخي ومن تطلعاتها للمستقبل . ان مسألة الشخصية القومية في الفـن التشكيلي مسألـة صعبة ، وحلها لا يحدث بمجرد ادراك ما تقدم ، بل بالممارسة الفعلية لهضم التراث ومعايشة الواقع وتمثل المستقبل . ان مسألة الشخصية القومية في الفن التشكيلي العربي تختلف تماما ، وهي بالطبع اكثر تعقيدا ، عنها في الادب والشعر العربي . ففي الادب والشعر مثلا ، تنبع الشخصية العربية لكون المفردة التي يتألف منها العمل الادبي والشعر هي كلمة عربية ، بينما نجد مفردة الفن التشكيلي بشكل عام هي مفردة عالمية مجردة . فهي اللـون والخط والضوء والكتلة . وما الى ذلك .. فهي مفردات يستعملها العاملون في مجال الفن التشكيلي في جميع انحاء العالم . لقد ظن عدد من الفنانين العرب ، تحت وطأة الشعـور بضرورة ابـراز الشخصية العربية في الفن التشكيلي العربي ، ان العودة الى التراث ، اي الزخرفة العـربية او استغلال الخـط (كاليغـرافي) مع بعـض التحويرات الحديثة هي الحل . وظنت مجموعـة اخرى ان اعتماد البعدين دون الثالث في الرسم ، وهو مبدأ يعتبر احد العناصر المميزة لفن التصوير عند العرب قديما يمكن ان يؤكد الشخصية العربية في اعمالهم . وآخرون اتجهوا نحو تصوير الحياة العادية لشعوبنا العربية ، بازيائهـم وملامحهـم ومعالم بيوتهم ووطنهم ، بآلامهم ، وآمالهم ، من اجل الهدف ذاته . لقد وقع الفنان المكسيكي في اوائل القرن الحالي تحت نفس الهموم والمشاكل التي يعاني منها اليوم الفنان العربي . ولم يكن امام الفنان المكسيكي الا العودة لوطنه ، لتراثه وواقعه واستطاع ان يبني بعد ذلك حركته الفنية التشكيلية ذات الشخصية المكسيكية والتي تعتبر اليوم من اقوى الحركات الفنية التشكيلية في العالم المعاصر .. وليس امام الفنان العربي اليوم الا ان يتبع الطريق ذاتها التي سار عليهـا الفنـان المكسيكي بالعودة للتـراث والواقـع العربي ، كأساس ينطلق منه ليرسم الحاضر والمستقبـل ، وليبنى عليها حركته .

وفرضت هذه الامور كلها اول ما فرضت ضرورة ماسة لتلاقي الفنانين العرب وخلق اتحاد لهم يضم